عقيدة المصريين القدماء عند أصحاب الرسالات السماوية

هل بنو إسرائيل أول الموحدين ؟

لقد ادَّعى اليهود أن سبب اختيار إلههم " يهوه " لهم ليس فقط أن يعقوب أباهم قد صارع الرب وحصل منه على لقب إسرائيل ، وأنه دعاه ابنه البكر بل لأنهم هم أول الموحدين ، وأن " يهوه " لم يُعْبَد وحده إلا بنزول التوراة على موسى . فقد كانت جميع الأمم السابقة عليهم أمماً مشركة تؤمن بتعدد الآلهة ، وتنحت لها التماثيل ، وترسم لها الصور . وأن سائر الأنبياء والمرسلين السابقين على موسى مشركون يدعون مع الله آلهة أخرى !!

فقد تلقى موسى الوصايا العشر التي تكونت من قسمين رئيسيين : قسم خاص بالعقيدة ينص على عبادة الله الإله الواحد ، وعدم تجسيد الإله أو تشبيهه بشيء من خلقه ، وهي الوصية التي فصلت بين التفكير الطبيعي والتفكير التاريخي فيما يتعلق بفكرة الإلوهية وهي الخطوط الفاصلة بين الإلوهية عند الساميين القدماء وتبلور فكرة التوحيد في اليهودية فهي دعوة إلى عدم تصوير الإله في صور طبيعية مأخوذة من الطبيعة وبداية التفكير في الإله تفكيرا نظريًّا مجردًا من خلال أعمال الإله في الطبيعة والتاريخ ، ولأول مرة يتم الفصل التام بين الإله وبين الطبيعة والتاريخ ويصبح الإله خالقًا للاثنين ، ومستقلاً بوجوده عنهما ، والوحي لم يأخذ شكله الأساسي في الدين السامي القديم إلا بعد أن أصبح أساسيًّا في العقيدة اليهودية.

والجزء الثاني من الوصايا خاص بالبناء الاجتماعي ، وتعتبر الديانة اليهودية أول ديانة سامية تحاول وضع قانون دائم ينظم المجتمع وعلاقات أفراده ولهذا نسمع لأول مرة عن نظام الشريعة . (١)

إذن اليهود يزعمون أن أول دعوة إلهية للتوحيد هي الوصية الأولى من الوصايا العشر لموسى " ثُمَّ نَطَقَ اللهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الأَقْوَالِ : " أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ دِيَارِ عُبُودِيَّتِكَ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ. لاَ تَتَّخِذْ لَكَ تِمْثَالاً، وَلاَ تَصْنَعْ صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ أَسْفَلِ الأَرْضِ.لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلَهَكَ، إِلَهٌ غَيُورٌ "
(الخروج : ٢٠)

فتوحيد الله تعالى – في زعمهم - لم يحدث إلا بعد نزول التوراة أما قبل ذلك فقد كانت الناس كلهم مشركين وبهذا وصم اليهود جميع البشر قبل تلقي موسى التوراة بالشرك ولم يستثنوا حتى أنبياء الله تعالى من لدن آدم إلى موسى عليهم جميعًا صلوات الله تعالى .

والحقيقة أنه لا يؤمن بهذا الهُراء إلا من سَفَهَ نفسه ، وألغى عقله ، وجعل إلهه هواه فكيف يجوز شرعًا وعقلاً أن نحكم على جميع خلق الله قبل موسى بالشرك دون دليل إلا هذه التُّرَهات ؟!

والحقيقة التي لا يجادل فيها إلا جاحد ولا يعترض عليها إلا معاند ولا ينكرها إلا كافر بكتب الله تعالى جميعًا ، أن البشرية قد عرفت التوحيد مع أبي البشر وأول الأنبياء آدم عليه السلام .

والتوراة نفسها تؤكد هذا " وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَهَا وَيَعْتَنِيَ بِهَا. وَأَمَرَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً : " كُلْ مَا تَشَاءُ

(١) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " دار الثقافة ص ٥٨

مِنْ جَمِيعِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، لَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لأَنَّكَ حِينَ تَأْكُلُ مِنْهَا حَتْماً تَمُوت" (التكوين : ٢)

أكان آدم حينئذ مشركاً بالرب الإله وقد خلقه وأسكنه الجنة يأكل ما يشاء من جميع أشجارها ؟! .

" وَعَاشَرَ آدَمُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ، وَوَلَدَتْ قَايِينَ إِذْ قَالَتْ : " اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ" . ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ، وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِياً لِلْغَنَمِ. أَمَّا قَايِينُ فَقَدْ عَمِلَ فِي فَلاَحَةِ الأَرْضِ. وَحَدَثَ بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قَايِينُ مِنْ ثِمَارِ الأَرْضِ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ خَيْرَةِ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَأَسْمَنِهَا. فَتَقَبَّلَ الرَّبُّ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَضِيَ عَنْهُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ قَايِينَ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ." (التكوين : ٤)

أكان آدم وحواء يعبدان أحدًا غير الرب الإله الذي رزقهما قابين وهابيل؟! أم كان قابين وهابيل يعبدان أحدًا غير الرب الإله الذي قدما له القرابين ؟!

" وَعَاشَرَ آدَمُ زَوْجَتَهُ حَوَّاءَ مَرَّةً أُخْرَى فَأَنْجَبَتْ لَهُ ابْناً أَسْمَتْهُ «شِيثاً» إِذْ قَالَتْ: «قَدْ عَوَّضَنِي اللهُ نَسْلاً آخَرَ عِوَضاً عَنْ هَابِيلَ الَّذِي قَتَلَهُ قَايِينُ». وَوُلِدَ لِشِيثٍ أَيْضاً ابْنٌ سَمَّاهُ أَنُوشَ وَعَنْدَئِذٍ ابْتَدَأَ النَّاسُ يَدْعُونَ بِاسْمِ الرَّبِّ." (التكوين : ٤)

من هذا الرب الإله الذي بدأ الناس يدعون باسمه " أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " ؟!!

وجاء في توراة اليهود رضا الله تعالى عن نوح ، أكان الله تعالى راضيًا عن مشرك به عابد لغيره ؟!

" وَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ». أَمَّا نُوحُ فَقَدْ حَظِيَ بِرِضَى الرَّبِ " (التكوين : ٦)

فهل كان نوح مشركًا بالله الذي أنقذه هو وأهله وأغرق الكافرين ؟!

«هَيَّا ادْخُلْ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ جَمِيعاً إِلَى الْفُلْكِ لأَنِّي وَجَدْتُكَ وَحْدَكَ صَالِحاً أَمَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ " (التكوين : ٧)

" وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ ثُمَّ اخْتَارَ بَعْضاً مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَقَرَّبَهَا مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ. فَتَقَبَّلَهَا الرَّبُّ بِرِضَى"(التكوين:٨)

من هذا الرب الذي بَنَى له نوحٌ مذبحاً وقرَّب إليه القرابين ؟ أألله غير الذي أنقذه من الطوفان ؟!

وكثيرة تلك المواضع التي تتحدَّث عن هذا الرب الإله في التوراة من لدن آدم حتى موسى الذي يريد اليهود أن ينسبوا له وحده تعليم البشرية جمعاء التوحيد !!!

طغيان المصريين على بني إسرائيل

والمصريون لم يكونوا كفاراً – بالنسبة لبني إسرائيل – فحسب بل كانوا طغاة متجبرين استعبدوا بني إسرائيل وسخَّروهم في الأعمال الشاقة.

فبعد سنوات طويلة من عيش بني إسرائيل في مصر قام ملك جديد على مصر فسخرهم في الأعمال الشاقة ، ولم تذكر توراة اليهود – على غير العادة – سبب انقلاب ملك مصر عليهم إنما أشارت إلى تخوف ملك مصر الجديد من كثرة عددهم ، وخوفه من انضمامهم إلى أعداء مصر .

ثم تذكر توراة اليهود أمر فرعون بقتل أطفال بني إسرائيل الذكور حتى لا يزيد عددهم ويتعاظم خطرهم .

ثم تبدأ توراة اليهود في سرد قصة موسى منذ ولادته وتربيته في بيت فرعون حتى أرسله الله إلى فرعون ليخرج شعب بني إسرائيل من مصر.

رأي المسيحيين في عقيدة المصريين القدماء

يقول الأنبا يوأنس أسقف الغربية : " يقف الإنسان مندهشاً حينما يُرمى المسيحيون بالكفر والشرك . وهم الذين علَّموا العالم التوحيد ، ويبدءون عبادتهم ويستفتحون صلواتهم قائلين : " باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد " .. المسيحية أيها الإخوة لم تؤمن بالوحدانيَّة فحسب بل هي التي علَّمت العالم التوحيد ، وأن الله لا يمكن إلا أن يكون واحداً ... ففي مصر مثلاً أيام قدماء المصريين كان هناك آلهة عامَّة مثل رع والإله آمون، وكانت هناك آلهة إقليمية لكلِّ إقليم ، بل كان هناك إله لكلِّ مدينة ، وكان هناك آلهة شخصيَّة ، وأحياناً للأسرة . وقد جمع الوثنيون في عبادتهم بين الآلهة الخيِّرة والآلهة الشرِّيرة . وقد عبدوا الآلهة الخيِّرة استجاباً لرضاها، والآلهة الشرِّيرة دفعاً لأذاها . " (١)

وإن كان الفراعنة طغاة فإنَّ طغيانهم ، في نظر دعاة القبطيَّة ، طغيان داخلي وهو أخفُّ كثيراً من طغيان الغزاة الغرباء والمحتلِّين الدخلاء .

رأي المسلمين في المصريين القدماء

أما دعاة الإسلام عامَّة والجنسيّة الإسلاميَّة خاصَّة فإن جميع حكام مصر في رأيهم كفرعون موسى طغاة وثنيُّون .

---

(١) الأنبا يوأنس أسقف الغربية " إيماننا الأقدس " ص ١١٨ ، ١١٩ .

يقول الشيخ رشيد رضا : " القبط تنتسب إلى الفراعنة الوثنيين أعداء الله تعالى " (١)

ويقول عن نظام الحكم في مصر القديمة : " أما المَدَنيَّة الفرعونيَّة فقد كانت تستعبد البشر وتذلُّهم ، كما فعلت ببني إسرائيل وغيرهم ، وهذه الأهرام – التي هي أظهر آثارهم – حجَّة عليها وعليهم ؛ فقد كانوا يسخِّرون في بنائها مئات الألوف الخاضعين لهم ." (٢)

ويستشهد المسلمون بالآيات الكريمة التي تحدثت عن كفر وطغيان فرعون حاكم مصر زمن موسى عليه السلام كدليل قاطع على كفر وطغيان حكام مصر قاطبة بل كفر وطغيان المصريين القدماء فيعممون صورة فرعون على كل المصريين القدماء ويسمونهم جميعاً فراعنة !!

والعجيب أن المصريين الذين يفخرون بحضارة مصر القديمة لا ينفون عن صنَّاعها الكفرَ والطغيان والتألـه بل يفتخرون بهذا ويطلقون على البارزين من رجالهم لقب فرعون ، أو فراعنة فإذا حقق إي مصري إنجازاً عالمياً في أي مجال من المجالات يمنحونه لقب فرعون أو الفرعون المصري ، وإذا كان فريقا هو الذي حقق الإنجاز قالوا عنهم فراعنة مصر قد حصدوا ميدالية كذا أو جائزة كذا !!!

وسنبين في الفصل التالي حقيقة عقيدة المصريين ، ثم نبين من هو فرعون ؟ وهل هو اسم علم على حاكم مصر زمن سيدنا موسى أم لقب لكل حكام مصر ؟

***

(١) رشيد رضا ، مجلة المنار " المسلمون والقبط " عدد مارس ١٩١١ ج ١٤ ص ٢٠١
(٢) رشيد رضا " مجلة المنار " مناظرة في الجامعة المصرية في المدنيتين الفرعونية والعربية (وأيتهما تختار مصر هذا العصر ؟!) ج ٣١ ص ٤٦٥ عدد يناير ١٩٣١م